13. Arkoun, M. (2003), La pensée arabe, 6 ème, édition, col. «Que sais-je ?», PUF.
14. Arkoun M. (1988), L'Islam, hier-demain, éd. Buchet-Chastel.
15. Arkoun M. (1984), Critique de la raison islamique, éd. Maisonneuve et Larose.
16. Arkoun M. (1989), L'Islam : morale et politique, éd. Desclée de Brouwer.
17. Arkoun M. ( 1991), Lectures du Coran, Les éditions de la Méditerranée, Tunis.
18. Ferjani M ,C. (2001), Les apports de Mohammed Arkoun à l'étude des faits religieux », in Etudes Maghrébines, n° 13.





# علاقة العلوم الاجتماعية بالفلسفة

د/ علي زيكي
جامعة الجزائر (2)

**ملخص**

يتضح من خلال هذا البحث بأن الملاحظ لحال العلوم الاجتماعية المعاصرة يقابل بوضعية منهجية معرفية متناقضة:

أولا: إصرار هذه العلوم على التبرؤ من حيرة التساؤل الفلسفي المقلق، مع تنكرها لمبادئها الميتافيزيقية الراسخة وما قد يستولد ذلك من نسج لأنساق معرفية شامخة.

ثانيا: تعنت هذه العلوم على استيراد منهجية العلوم الدقيقة القائمة على قياس وتكميم وتقنين كل ظواهر الكون وإقحامها في المجال الإنساني المجتمعي المتمرد أصلا عن كل تكميم.

ثالثا: إن تشييء الظواهر الإنسانية – المجتمعية وإخراج النتائج الحاصلة منها في لباس الدوال الرياضية الصارمة قد يقول الشيء الكثير عن الإنسان ولكنه لا يقول شيئا عن حقيقته وجوهره.

رابعا: إن التفنن في تطبيق منهجية العلوم الدقيقة عل الظواهر الإنسانية يؤدي كما يقول فبيير إلى حصاد وافر التّبن ولكنه قليل الحب.

والحل لهذه الوضعية المتناقضة يكون بعودة العلوم الاجتماعية إلى حضانة الفلسفة تغذيها بأسئلتها وتدعمها بمنهجياتها.

**الكلمات الدالة :** العلوم الاجتماعية، التساؤل الفلسفي، المنهجية، التكميم.

## مقدمة

إن الهدف من هذه الدراسة الأولية هو معالجة العلاقة القائمة بين العلوم الاجتماعية والفلسفة؛ والتي هي علاقة متميزة وحميمية كما ستتضح تباعا.

فإذا كانت الفلسفة قد باتت تشكل آلفا وأوميقا Alpha وOmega [1] أسس العلوم الإنسانية بأكملها، فإن معارف العلوم الاجتماعية تظل أشد التصاقا بالفلسفة من غيرها من المعارف الأخرى. لذا فإن العلاقة بين العلوم الاجتماعية والفلسفة تظل علاقة عضوية وجدلية من حيث أن مواضيع بحث هذه العلوم هي مواضيع فلسفية أولا وأخيرًا، وإن تصنّعت هذه العلوم نوعا من الجفاء والعداء للفلسفة توددًا للعلوم الدقيقة وتقرّبا منها منهجا ولغة وذهنية.

---

1 – J. Piaget+: Epistémologie des sciences de l Homme. Gall. 1977

## أهمية علاقة العلوم الإجتماعية بالفلسفة

سندعو في هذه الدراسة إلى إطعام العلوم الاجتماعية بمزيد من الجرعات الفلسفية القادرة وحدها فيما نظنّ على عتق هذه العلوم من هاجس اللهث الميئوس وراء التمظهر من وراء "لباس" العلوم الدقيقة القائمة كما هو معروف على التجريب والتكميم والتقنين والتنبؤ الواثق بما سيحدث لا محالة في المستقبل من منطق ومنطلق الواقع المدروس علميًا. ألم يقل أرسطو منذ القدم بأن لا علم إلا بالتنبؤ؟ لقد انساق العديد من المفكرين المهتمين بالحقل المعرفي الاجتماعي انسياقا أعمى إلى تبنّي منهجية روّاد مؤسسي العلوم الدقيقة، ولاحظوا بكثير من السذاجة بل ومن التعنّت أن ما تمّ إنجازه من اكتشافات واختراعات وتطبيقات عملية، وما تمخضّ عنها من إنجازات تقنية مست مختلف مجالات حياة الإنسان، يمكن بل ويجب أن ينسحب وأن يعمّ الميدان المجتمعي برمّته. أما سرّ طفرة العلوم الدقيقة العجيبة والسريعة فيكمن برأى الباحثين الاجتماعيين في نبذ هذه العلوم للفلسفة ولتساؤلاتها المقلقة واللامجدية معا كما يزعمون.

لقد تجنّد الباحثون الاجتماعيون وبحماسة متوقّدة لاستيراد منهجيات ولغات العلوم الدقيقة وإقحامها في الميدان الاجتماعي، إلى درجة تعنيف الظواهر الاجتماعية وإجبارها على الأذعان لدوال الرياضيات المجردة بإسراف .- ولم يكن كل ذلك ليتحقق والحال أن العلوم الاجتماعية لم تخرج نهائيا من رحم الفلسفة – فأعلن رواد المدرسة الوضية الفرنسية، الطّلاق اللاّرجعي للفلسفة والتنكّر لها وتجنبها كما يتجنب المصاب بالكوليرا. لقد دعا هؤلاء إلى تحرير العلوم الاجتماعية من نزعة الفلسفة "الاستعمارية" وإلى تجنّب تساؤلاتها اللامجدية؛ ولغتها الفضفاضة ومنهجياتها التأملية المجردة.

ولعل تميز الألمان وفي مجال العلوم الاجتماعية بالذّات عن غيرهم من المجتمعات الغربية، يرجع بالدرجة الأولى إلى طبيعتهم النفسية والعقلية المتطلعة دوما إلى الإمساك والإحاطة بالكلي المتافيزيقي، ونبذهم الفطري لكل ما هو جزئي خصوصي، ويظهر ذلك في نفورهم من النزعة التجريبية الغالبة على العقلية الإنجليزية مثلا وكذا الفرنسية بمعنى ما.

ويمكن أن نلمس كل ذلك في مواقف نيتشه التي كرّست شخصيته كفيلسوف مبدع وأصيل في كل مجال ولجه بعقله النيّر والهدام لكل ما يقع بين يديه من مصطلحات ومفاهيم متذبذبة وفضفاضة كمصطلح العلوم الاجتماعية مثلا والمستحدث لمناقشات وجدالات لم تضع الحرب الكلامية والمناقشات الحادة الجارية حولها، أو زارها إلى يومنا هذا.





ولمزيد من التوضيح نقول بأن موقف الباحثين المنشغلين بالحقل المعرفي الاجتماعي قد سار في الاتجاهين أو مدرستين:

– المدرسة الوضعية الفرنسية المتشّبعة بالاتجاه العلمي الوضعي السائد مع نهاية القرن التاسع عشر، والعامل على إخضاع الكون في جانبيه الطبيعي والمجتمعي لمبدأ الحتمية الطبيعية الصارم، والقائم كما قلنا على التجريب والتفسير والتكميم والتقنين والتنبؤ بما سيقع اعتبارًا لما حدث في الماضي وما عسى يجري في الحاضر والمستقبل بطبيعة الحال. وكان من مقاصد وأهداف أصحاب هذا الاتجاه معرفة المجتمع قصد تسخير قواه المختلفة الكامنة فيه لخدمة الإنسانية وتكوين إنسانية جديدة لم تشهد الإنسانية الماضية مثيلا لها. إنسانية متحررة من كل الضغوطات والمعوّقات المعرقلة لها في سيرها الحثيث نحو هذا الهدف إلا سمي. وكانت النتيجة ما نشاهده من أمراض وآفات الحضارة والموضوع يحتاج إلى تطويل أكثر.

–الاتجاه الثاني يمثله المفكرون الألمان بقيادة ديلتاي Delthey وفيبير weber [2] وجادامير Gadamer [3] إنه اتجاه شديد الحذر بل ومعارض لإمكان إخضاع الظاهرات الإنسانية المجتمعية لنفس مبدأ الحتمية الجاري تطبيقه في مجال الظاهرات الطبيعية. إنه اتجاه يعارض فكرة إمكان تجريب وتفسير وتقنين الظواهر الاجتماعية خشية سلب الإنسان أعز ما لديه من مكرمة، وهو إنسانية. الحرة – فكل ما يمكن القيام به إزاء الظواهر المجتمعية هو تفهّمها ليس إلا، إبقاء لهذا الهامش من مجال السلوك الإنساني "الحر" حتّى يمارس في نطاقه حريته ويتحمل أثرها مسؤوليته وتبعاتها الأخلاقية والحضارية[4]. وبهذا المعنى فإن هذا الاتجاه يعمل على الفصل الواضح بين عالم الطبيعة المادي الخاضع لمبدأ الحتمية الصارم، وعالم المجتمع المتمرّد على كل مبدأ يقوم على الحتمية إنها مقاربة تقوم على الفصل بين عالم الوجود وبين عالم الوجوب[5].

ولقد احتدمت هذه المناقشات في السنوات الستين من القرن الماضي، تحولت في خصمّها إلى ما يسمى في ألمانيا بخصومة العلوم الاجتماعية. ويمكن إفراد كتاب بل وكتب بأكملها لمعالجة وتتبع مسار ومآلات تلك المناقشات الحادة والجادة. والتي ما يزال صداها قائما إلى يومنا هذا في أروقة ومنابر ومخابر كبريات الجامعات الغربية.

---

2 – M.Weber÷: Essai sur la théorie de la science . Trad Fse Agora, 1992

3 – H.G. Gadamer÷: Méthode et vérité÷; Les grandes lignes d une herméneutique philosophique trad fse Seuil, 1976

4 – K. Jasper÷: Introduction à la philosophie Trad Fses, Plon, 19 1959

5 – M÷. Weber÷: le Savant et le Politique Tras Fse Plon 1959

ويفهم مما سبق ذكره أن حاجة العلوم الاجتماعية إلى الفلسفة باتت اليوم أقوى مما كانت عليه في أي وقت مضى، بسبب حجم المطالب القائمة وتعّقد المشكلات المطروحة وكذلك بسبب هذا النوع من التضخم المعرفي المتراكم والمتداول، وهو حجم معرفي زخم الفلسفة هي وحدها القادرة على غربلته وتصفيته لإبراز ما هو ضروري وما هو زائد، نحن اليوم في حاجة ماسة إلى الشفرة الوامضة الحادة التي أشرها كايم على مطلع القرن 15 م، يحلق ويقطع به المعارف الكمالية الزائدة عن حاجات الإنسان، وإلى الكون بسبب تغيّر وتنوع المقاربات العلمية المتبنّية للمنظور العلمي القائم كما هو معروف على مبدأ الحتمية.

ولقد تبنّى النصف الأول من القرن 19 للمبدأ الحتمي الكلي والمطلق الذي نطوقه ينص على أن الوضع الحالي للكون هو نتيجة حتمية للوضعيات السابقة وأن هذه الأخيرة سيكون علة الوضع اللاحق كما يقول لابلاس La place بحسب هذا المنطق ما هو غير قابل للمعرفة والتنبؤ[6] وأن هذه المعرفة ستظل معرفة يقينية لا ريب فيها ولا يداخلها أي شك.

وبتعميم هذا المبدأ العلمي مادام كونيا وعالميا، فإن الظاهرة الاجتماعية بدورها سيسلمها هذا المبدأ خاصة بإدخال علم حساب الاحتمالات وبهذه الطريقة في التعامل مع الكون طبيعة ومجتمعا فإن العلم سيغيّر العالم لما يصلح الإنسانية قال Hugo ما معناه بأن القرن 19 عظيم بيد أن القرن العشرين سيكون سعيدًا.

وحول هذه النقطة بالذات تقابلت الذهنية الفرنسية مع العقلية الألمانية، تقابلا شديدا كرّستها من المواقف التي كرست شخصية نيشته كفيلسوف مبدع وأصيل، ورسخّت مواقف نيتشه السابقة في هذه النقطة بالذات لما تنبأ من خلالها بما سيكون عليه القرن العشرين من التطفل على القرن التاسع عشر والتزود من منابعه التي لا تنفذ. لقد أكد أن القرن العشرين لن يفعل أكثر من اجترار وتأويل ما تمخض واردهم من المعارف المتراكمة والاكتشافات المتلائمة نشمل جميع الميادين المعرفية العلمية والفلسفية، مثلا خاصة منها ما يتعلق بالمجال المعرفي للعلوم الإنسانية. فخلال القرن التاسع عشر تعمّقت وتحدّدت المفاهيم والنظريات، وانضبطت في أطر واضحة. كما انبنت معالم طرائق البحث العلمي وارتست دعائمها الصلبة، انطلق معها فضول الإنسان ليدلو بدلوه في كل ما يمكن أن ينفذ إليه العقل عقله الوثاب، حتى غدا بنيانه الشامخ وافاقه الواسعة يصعب تجاوزها كما يقول سارتر.

إن العلوم الاجتماعية اليوم لم تكتف بإعادة طرح نفس القضايا المنهجية للقرن

6 - H. Poincaré÷: la Science et l Hypothèse , Gall, 1960





التاسع عشر فحسب، بل راحت على غرار نظيراتها من العلوم الدقيقة تجعل من مشاكل الأصولية المعرفية (نظرية المعرفة، الابستيمولوجية)، العمود الفقري لكل بناء معرفي تنوي إنجازه، مع فارق كبير هو أن منهجية العلوم الدقيقة كانت قد بلغت مستوى عاليا من النضج والتطور، بينما العلوم الاجتماعية لم تخرج بعد مسألة، "الخصومة الألمانية[7] للعلوم الاجتماعية" والتي انقسم بسببها المفكرون أحزابا وشيعا كثيرة. وموضوع هذا الخصام المنهجي والمعرفي يتمحور حول تحديد وضعية العلوم الاجتماعية ضمن منظومة العلوم المعترف بها "شرعيا" خلال القرن التاسع. ويمكن إرجاع الآراء لكثرتها إلى موقفين اثنين بارزين.

- موقف يدعو إلى اعتبار العلوم الاجتماعية مجرد شعبة من شعب العلوم الدقيقة، وهم الوضعيون على اختلاف اتجاهاتهم المدرسية.
- موقف آخر يرفع "السلاح للكفاح" من أجل "استقلال" هذه العلوم، وتحديد رقعتها الجغرافية (الثقافية) الخاصة بها، وصياغة المنهجية المناسبة لها. ويمثل هذا الاتجاه إلى حدّ ما ماكس فيبر وبعض أنصار "حلقة فيينا" كبوبر Popper [8] بالخصوص، وبعض المرتدين عن تطرّف "الحزب" الوضعي.

نعتقد أن مثل هذه القضايا الهامة يصعب حصرها والتمكن منها في تعقدها وتشعباتها خارج نطاق ما يسمى اليوم بفلسفة العلوم الاجتماعية، القادرة وحدها على معانقتها في شموليتها واتساعها الأفقي وعمقها العمودي. الواقع أن أشدّ ما يلفت نظر المهتم بالحقل المعرفي للعلوم الاجتماعية وتحيّره حقا، تكاثر هذه العلوم المتزايد وانشطارها تفريعا بلغ حد الالتواء، وتخصصا وصل إلى مستوى الأفراد، في وقت كان عليها أن تعمل على تحقيق جبهة موحدة، متماسكة الأجزاء، ومتكاملة الوسائل، ومتصاهرة الغايات والأهداف وكان ذلك الحلم[9] الدفين للرواد الأوائل العاملين في هذا الميدان، ومثل هذه الوحدة المطلوبة لا تكون لمجابهة العلوم الدقيقة أو منافستها بقدر ما ستعمل على استكمال المعارف الإنسانية المبتورة من الجانب الاجتماعي، حيث أن هذه المعارف بلغت مستوى عاليا جدا من الدقة والصرامة، بينما المعارف الاجتماعية لا تكاد تقدم أكثر مما كان يعرفه أفلاطون وأرسطو مثلا في المجال النفسي والاجتماعي السياسي.

أما عن السبب، بل، عن الأسباب التي حالت دون "إقلاع" العلوم الاجتماعية وانطلاقها في عملها بالحماسة المعهودة لدى العلوم الدقيقة، فإن النظر فيه يمكن

7- Collectif . de Vienne à Francfort, la querelle Allemandes des sciences  sociales. Ed . complexe 1980

8 - K.Popper÷: La Quète inachevée÷;  Trad÷; Fses Plon÷;  1975

9 - P . Claval÷: Les mythes fondateurs des sciences sociales .  Gall÷; 1980

أن يكون موضوع بحث مستقل. لكن نشير بشيء من الاقتضاب والسرعة قائلين: بأن السبب يرجع إلى تعقد موضوع العلوم الاجتماعية تعقدا شديدا مع عملها في غفلة من أمرها على تناوله بوسائل معرفية صيغت لموضوع آخر أبسط (المادة) مقارنة بالإنسان أو المجتمع. وإلى جانب شرودها عن هذه البديهية، فإن هذه العلوم بدت في كثرتها كما لو كانت "بلدانا" مختلفة ومستقرة في "حدود" مرسومة بدقة ومراقبة بيقظة كبيرة اتقاء لكل تسرّب مكروه يحمل مضايقات وإحراجات هي في غني عنها.

إن هذه العلوم لم تكتف بإضاعة جهدها في رسم حدود وهمية فيما بينها بل راحت تصوغ لنفسها ألسنة مختلفة، وتتبنّى "منهجيات" متنوّعة، وتتبنى وترتسم يوتوبيات خاصة بها ظنا منها أنها بتفردها بموضوعاتها وبتمايزها لغة وطريقة عن الفلسفة الأم، سيتم "تعلمنها" بسهولة وتنال العضوية الكاملة بين العلوم الدقيقة. ومن الآثار السيئة "للسياج المضروب" على قطاعات هذه العلوم وميادينها، والتي كرستها الذهنيات والبنيات الجامعية المتصلبة، ظهورها بلباس الحداثة والعصرنة المزعومة وتفردها "بهويتها" الخاصة لا تقبل أن تتنازل عنها أو أن يشاركها فيها أحد، (فهل من فرق بين "هوية" التاريخ وهوية علم الاجتماع؟) على أن السيئة الكبرى لهذا التقطيع التعسفي، تتمثل في تفتيت "الواقعة الاجتماعية" وتوزّعها في ميادين متنوعة تتناولها ومناهج كثيرة مما شتت المجهودات، وبعثر مراكز الاهتمام. وتلك هي أهم العوائق التي حالت دون قيام هذه العلوم في نسق معرفي أصيل وتابع من خصوصية موضوعها، وعجزت في الوقت نفسه على الانسياق في المجرى المعرفي الغزير الذي أحدثته تأملات الفلاسفة العلماء حول مشاكل العلوم الطبيعية، أدّت إلى هذه الأصولية المعرفية المحصّة والرفيعة للعلوم. وليت تعثر العلوم الاجتماعية المتكررة، وتعلّمها الشاق لطرائق البحث بالمحاولة والخطأ، تساعدها في الاهتداء إلى جاليلي خاص بها يعجّل عملية "إنجاب" فلاسفة جدد، يفجرون الوضعيات المعقدة ويفتقون الذهنيات المتعلقة ويساهمون في وضع منطق بل وبنيات الاستكشاف العلمي خاص بها على غرار ما تم في الميدان العلمي المحض حيث يسهل الوقوف عليها وتتبع منحنياتها التاريخية[10].

إن تلك البنيات لم تكن كما يقول كوهن نتيجة التأملات الفلسفية المجردة حول الإشكالية الثنائية ذات موضوع أو حول طبيعة التجريب بقدر ما كانت نتيجة وضع ما يمكن تسميته باللغة العلمية المترجمة لما قام به العلماء عبر التاريخ والتي تعكس بصدق مستوى تطور تلك العلوم.

10 – T. Kuhn÷:La structure des révolutions scientifiques. Trad Fse÷; GALL 1970





ولقد ظل المفكر الأمريكي لازالرفيلد[11] P. Lazarofied يدعو بإلحاح إلى وضع لغة خاصة بالعلوم الاجتماعية إيمانا منه أن اللغة عنوان الشخصية التي تعبّر عن الصعوبات الأخرى القائمة في وجه هذه العلوم. إنه لموقف غريب حقا أن تكون العلوم الاجتماعية أقدم زمانا وأرسخ قدما من العلوم الدقيقة، وأن يكون فضلها عليها ماثلا لعيان كل متبصر. ثم يتحول أمرها إلى ما هي عليه اليوم. والسبب يرجع إلى عموميتها، التي روّجتها تبسيطية التحليل بلغت حد الابتذال نكاد نقول: فكون معطياتها الأساسية في متناول الجميع، لا يتطلب الإلمام المسبق والمتعمق بأساسياتها النظرية، من شأنه أن يقعد بالفيلسوف ويرغبه عن القيام بما لا يستغني عنه. حينما يتناول موضوعا من العلوم الدقيقة كتحليل المفاهيم المتداولة ونقد الآراء الموضوعة، وتفحص الخطوات المنهجية المصاغة. كل ذلك لا يراه ضروريا حينما يقرأ كتابا لأفلاطون أو للفرابي مثلا: وأن هذا السلوك ليحمل أكثر من عبرة لتاريخ العلوم الاجتماعية.

فإذا أضفنا إلى ما ذكر الطابع التقطّعي المميز لها في عملها والفوضى، والغموض في نتائجها، والجدال السائد على مناقشاتها، ثم "الروح الخرافية" المعششة في ذهنياتها كما يقول أندرسون Anderson [12]، أن كل ذلك مما يقتّم صورة هذه العلوم، ويثبط أقوى العزائم لا مكان قيامها كعلوم وأكثرها تفاؤلا وإيمانا بجدواها خاصة إذا ما قورنت بما تعرفه الرياضيات والعلوم الدقيقة من نتائج متراكمة ومن تنظيم استمراري "بليغ" وعملي لمعارفها المستخلصة.

إن أكثر المدارس الفكرية اهتماما بمشكلة منهجية العلوم الاجتماعية ترى في منهجية وتاريخ العلوم الدقيقة الحل الأمثل لإخراجها من حالتها التراوحية وفيك عنها ما يمنعها من "الإقلاع".

– فالمدرسة الكونطة A. conte[13] المبالغة في التعصب للتيار الوضعي العلمي عملت على تأسيس علم الاجتماع "شرعيا" "يترسّم إطاره بعد البيولوجية مباشرة في سلم تصنيف العلوم، أن ناهيكم أن كونط لم يتردد في تسمية هذا العلم "الجديد" المنسوب إليه خطأ" "بالفيزياء الاجتماعية» عنده التسمية ترجع إلى البلجيكي Quitelet كيتيلي كما هو معروف.

وفي نفس السياق عمل "واندت" Wendt على تحويل علم النفس إلى علم تجريبي محض، كما جاء في نفس.

11 – P. Lazarsfield÷. La philosophie des sciences sociales . Trad . Fse Gall÷; 1969

12 – S. Andeski÷: Les sciences sociales sorcellerie des temps modernes÷; Trad÷; Fse Puf 1975

13 – A .Comte÷: Cours de philosophie positive. Hermann 1975

هذا المجرى "بؤس التاريخانية للماركسية" وانساق إلى سحب المعطيات العلمية لجمادات المادة وصبها على علاّتها على الواقع المجتمعي المتدفق حياة، وكانت نتائج هذه المحاولات التي لم تخل من قليل أو كثير من التهور، أن خيّبت الآمال المعلقة عليها، إذ بإخضاع هذه العلوم "لطغيان" العلوم الدقيقة، تحولت عن هدفها، فأضحت لغتها وطرائقها مصطنعة وأسلوب عملها مفتعلا، بل وكما قال أحد المعاصرين أصبحت تكتفي بجمع كيفيات "طبخ وإعداد" تقنيات طرائق استعمال هذه الطرائق المستعارة بدون أي منطق داخلي، يكيّف المشكلات بالوسائل والغايات. وجاء "محصول" كل ذلك يرصّص ويكدّس النتائج المستخلصة الواحدة بجانب أو فوق الآخرة بدون أي بناء تركيبي تدرجي متكامل. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الخدمات الجليلة التي قدمتها الفلسفة للعلوم الطبيعية كان أحرى لها أن تجدي وتنفع العلوم الاجتماعية التي تربطها بها "صلة الرحم". إن الفلسفة التي سارت يدا بيد مع العلوم الدقيقة عبر تاريخها الطويل، أولى بها أن تفعل ذلك كذلك مع العلوم الاجتماعية، وتصبح هكذا ابتدائية وانتهائية المعارف الإنسانية جمعاء.

### - بؤس العلوم الاجتماعية وشقاء الإنسانية

يمكن القول ونحن على هذا المستوى من التنظير أن الإنسانية المتوكئة على عصا العلوم الدقيقة والاجتماعية لو رصدت كل هذه الإمكانات والشرائط المنهجية الحاصلة لحد الآن لحق لها الاعتداء بنفسها لأنها قاب قوسين أو أدنى من الحكمة الشاملة ضالة كل مؤمن باحث من الكون الطبيعي والمجتمعي معا وتكريس كل اليوتوبيات الموعودة في تكوين إنسانية حرة وكريمة.

لكن ما أبعد هذه الإنسانية عن هذا الهدف. البعيد المنال؛ إذ هيهات أن تريح نفسها من القلاقل المحيرة، والجدالات العميقة المستثارة، هنا وهناك. فلننظر إلى التأويلات الشاملة والجافة للتيار الوضعي – التطوري المنهك لنفسه في ترجمة سيفونية الكون إلى لغة كونية صماء[14] ولنلتفت إلى التفسيرات الباردة للحتمية الماركسية في استقرائها لحركة المجتمع لنتأكد كم ساهمت كل تلك المحاولات في إفقار الواقع الإنساني الغني بالمادة التاريخية الدسمة. إن العلوم الاجتماعية بإشهارها لواء «التعلمان» لترضية مبدأ الوضعية العلمية سائد قد تنكّرت لخصوصية الحادث الإنساني المشحون بالقيم المعيارية؛ وهي في كل ذلك ورغم تسلحها بالحتمية بقيت على عتبة ما كان يجب عليها تأويله بالتوغل والنفاذ إليه كما يقول ماكس فيبره. فإذا كان التطور السريع والهائل للعلوم الدقيقة لم يصاحبه التفرع المتزايد

14 – J . Fourastié÷: La grande métamorphose du XX Siècles÷; Essai sur quelques problèmes de l humanité d aujourdhui÷; Puf÷; 1962





في المنهجية أن المبرر للتعددية البالغة في الطرائق، فمرد ذلك أن التباين الظاهر بين هذه العلوم عادلته ثم صهرته نزعة جادة لإدماج واختزال مسالكها ونتائجها، وفي أسوأ الحالات، عملت على التقريب بين الميادين والمواقف المتناثرة في عملية تركيب بجمع بين النتاائج المشتة بفعل المتخصص وهذا أضعف الإيمان. فلننظر مثلا إلى العلاقات الممدودة بين الفيزياء والكيمياء والبيولوجية لنرى كيف تتظاهر وتتساند وتتكامل من المنهج ومن النتائج. وهكذا فإن عملا جماعيا لأخصائي الميادين الاجتماعية، سيفتح بلا شك جبهة واسعة خاصة إذا تفذت باهتمامات فلسفية جديدة وحملها نفس قوى، يضم المادة المعرفية القائمة ويضيفها لنظام المعرفة الإنسانية القائم. كل ذلك سيعمل على إعادة توزيع جديد "للجغرافية الذهنية" يستلزم معه بالضرورة وضع هيكلة جديدة لمجموع الحقل المعرفي "كما يقول فوكو"[15]

إن الحوار "السري" الجاري مثلا بين التاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس وهي كلها تدرس واقعة واحدة، في امتدادها الزمني وسمكها الطبقي وعمقها النفسي سينفخ في العلوم الاجتماعية روحا جديدة ونفسًا قويا، لو دُعّم بالفلسفة وانضمت بكل ثقلها وأبعادها ولم تم ذلك لتغير الواقع المعرفي ووالوضع التاريخي الحتمي للإنسانية جمعاء C.M. whroth .[16]

وإلى هذا مال المفكر الأمريكي س.م ورايت حين أكد على ضرورة العمل بالمبدأ الداعي إلى ترقية علم النفس الإنساني، يرتكز إلى معطيات وأسس علم الاجتماع يتفق وينسجم مع مبادئ التاريخ، ويستأنس بالفلسفة تباركه، وتتوجّه بتاجها العريق. وبطبيعة الحال فإن هذه الدعوة لا تخلو من المثالية، ذلك أن الحوار الممدودة. خلال وعبر حدود هذه العلوم سرعان ما انغلق، وإن اتفاقيات "حسن الجوار" بينها، ما لبثت أن أجهضت، وانتهى الزواج بينها إلى الطلاق الضروري، وهو طلاق لم يبرره "منطق"هذه العلوم عانى من سلبياته وتحمّل تبعاته ونتائجه الثقيلة المؤثرة سلبا على مصيرها المعرفي. والسبب في ذلك لا يعود إلى التباين في الأمزجة بقدر ما يرجع إلى سوء الظن والأفكار المسبقة التي يحملها كل طرف للآخر. يقول أحد المعاصرين بأنه يتعين على عالم الاجتماع أن يحتاط من زميله المؤرخ كما يحذر من الطاعون[17]ومن جهتهم فإن المؤرخين لا يكتمون، مشاعرهم العدوانية اتجاه علم الاجتماع المستعمر (بكسر الميم) والكاسح لميدان عملهم، إنهم بعد ذلك يعلنون على الملأ سخطهم وانزعاجهم من موجبات الفلسفة

15 – M. Foucault÷: Les mots et les choses÷; Gall÷; 1975

16 – M.W Right÷: l imagination sociologique÷; Trad÷; Fse÷; Maspero÷; 1971

17 –CL. Febvre÷: Combats pour l histoire÷; A Colin÷; 1953

واقتضاءاتها النقدية المتزايدة؛ أصبحت لا تطاق. وحتى يتّقوا "شر" فلسفة فإنهم يؤكدون وبإلحاح إنهم أشد الناس تجنبا لها حتى لا تطبع على قلوبهم نشاوة من ظلام، تعميهم عن الرؤية الواقعية للأمور وتوقعهم في الوقت نفسه في مخالب الأحكام المعيارية المتنافية مع اتجاههم "العلمي" فهل نسي المؤرخون أو تناسوا أنهم فلاسفة أولا وأخيرا؟ وإنهم لا يستطيعون تصور ماضي الإنسان وتذهنه بدون تنظيره ووضعه في الأطر الفلسفية المجردة ثم صبّه في مقولاتها ومفاهيمها الواسعة كما يقول هالكا[18]؟ إذن، إن هذه "السوق المشتركة" للعلوم الاجتماعية إذ يصدر عن إشكالية واحدة تلتف حولها وتلتقي عندها سيعفيها من مشاكل مفتعلة، ويعمل على التقريب بين وجهات نظرها. تمهيدا لعقد قرانها النهائي كما يقول برودال[19]؛ وبهذا "العقد" تتضح وتتعدد العلاقات المتوترة بين هذه العلوم قد تضع الحرب فيما بينها أوزارها. بفعل هذه العلاقات وبموجبه يصبح كل علم خادما للآخر مساندا له، فلا علم منها سيد ولا آخر مسود، وكلها طرف لموضوع واحد. ولعل هذا ما كان يقصده ابن خلدون[20] "بعلم العمران" الجامع بين معطيات العلوم الاجتماعية والعامل على هيكلتها "في بنية متناسقة ومتكاملة تغدو نموذجا عاما للمعرفة ومعيّارا لها. فلو قدر ابن خلدون حق قدره وانطلق الإنسان إلى معرفة نفسه قبل معرفة الطبيعة أو تزامنت وتواكبت المعرفتان على الأقل، لتقاربت الشقة البائنة الفاصلة بين ما بلغته العلوم الدقيقة من تطور مذهل، وبين الوضعية المؤسفة التي ظلت عليها العلوم الاجتماعية وهي وضعية ولا تقوى على مجاوزتها العلوم الاجتماعية وحتى التقنين، ومن بين السيئات التي ارتكبها التيار الوضعي في حق العلوم الاجتماعية دعوته، وفي إصرار إلى تطبيق القول القائل بأن لا علم إلا بالقياس الكمي، واعتباره الشرط الكافي للدخول إلى حظيرة العلوم الدقيقة. وبهذه الدعوة بسطت الرياضيات سيادتها على عالم الإنسان، الداخلي منه والخارجي، وأصبح كل ما يأتيه ويدعه فرديا أو اجتماعيا، داخلا في شبكة التعبير الرياضي المعقّد، ناهيكم إن "جرأة" بعض الوضعيين دعت إلى إمكان قياس كمي حتى لمعتقدات وميول الإنسان. فالإيمان كما يقول هؤلاء "يحسب" بما ينفقه المؤمن من المال مثلا. على عباداته وطقوسه والموقف لا يخلو من التهور والقصور والسطحية في النظر إلى الأمور الجدية كهذه. وكان أقوى اعتراض على هذه النزعة "الحسابية" لكل شيء موقف ماكس فيبر حين أكد بأن أغلب الدراسات النظرية لعلم الاجتماع القائمة على إقحام الظواهر المدروسة في سلسلة من المعادلات الجبرية والدوال الرياضية والخطوط البيانية

18 -R. Aron÷; 12 leçons sur l Histoire. Ed seuil÷; 1985.

19 - F. Braudel÷: Ecrits sur l histoire÷; Gall÷; 1962

20 - J. Freund les théories des sciences humaines. 1973.





والأشكال الهندسية[21]، لأشبه ما تكون بعمل الفلاح الذي "يدرس" وبإمعان كبير التبن الفارغ، ثم ينتظر محصولا وافرًا من الحبّ.

فحبذا لو كان هذا النزوع "المرضي" إلى إلباس الظاهرات المدروسة لبوس الرياضيات قد ميّز بين القياس العددي المساعد للفكر على تفهم المشاكل المطروحة وبين هذه الموضة "شبه العلمية" الجارية عبثا وفي عنت كبير وراء سراب التعابير الرياضة. ويكفي للتثبّت من صحة هذا الموقف أن نلحظ كيف تزعزع "ملكوت" ملكة العلوم (الرياضات) والهندسة وما كان من مصير إطلاقيتها ويقينيتها ومصداقيتها حين داخلها شك مريب منذ أن استعيض عن الهندسة القديمة بالهندسة اللاإقليدية. ولا يدري الرياضيون أنفسهم الهندسة الصائبة من المخاطئة. منها، فاكتفوا بالقول بأن كلتيهما صحيحة ما دامت متطابقة مع المسلمات التي انطلقت منها.

وعليه وباهتزاز أسس أكثر العلوم يقينا، غدت الرياضيات إجراءًا واحدا من بين الإجراءات المعرفية المختلفة الأخرى ليس إلاّ؟ أفلا تعمل في سعيها إلى فك ألغاز الكون على تخير أكثر مظاهره ملاءمة وطواعية لوسائلها وأساليبها التقريرية والتخطيطية، أفلا يحمل هذا التخير شحنات من الذاتية ومن المعيارية؟ إن هذا «الخرق» لقواعد المنهجية العلمية الصارمة، والإخلال بها قد أنزل الرياضيات من عالم الإطلاقيات المثالية اللامحدود، إلى أرض النسبيات "الخشنة" المحددة زمكانيا. إذن أن الرياضيات لا تكون صحيحة إلا في حدود المسلمات التي انطلقت منها وطالما بقيت متطابقة معها، وإن سلطانها لا يبسط فيها وراء ذلك كما يقول جو سدروف[22].

- **الفلسفة تثور على الرياضيات**

قد نجد في المواقف السابقة ما شجع الفلسفة على الثورة ضدّ الرياضيات والخروج من الدور الثانوي المسند إليها عبر التاريخ، والمتمثل في إمدادها بالمفاهيم والطرق الاستدلالية الخاصة، والتطلع لدور أهم وهو تأدية واجب أمانة الحق التي ائتمنتها عليها الإنسانية منذ فجر تاريخها، لتحملها وتبلغها لها بنفسها وبلغتها التي يفهمها كل الناس، بدل الرموز والأشكال الرياضية المستغلقة على الإفهام، يؤكد الأستاذ كوهن أن إغراء الرياضيات وانبهار الناس بها يرجع إلى سبب واحد وهو أن العقل فيها يبدو كما لو كان قد بلغ ذروة التجريد والتسامي، وأن ذلك تمّ نتيجة عملية إجرائية بسيطة ونشاط ذهني خاص لا يخضع فيه هذا العقل وبكل تأكيد إلا لنفسه، وكأنه يدور في "الفراغ" لأنه لفظ الماديات وتجرد عنها

21 - G. Gusdorf÷; Introduction aux sciences humaines÷; Essai÷; sur leurs origines et leurs développements÷; Paris÷; 1960

22 - R. Boudon la sociologie comme science÷; la Découverte÷; 2010

ومنها. وهكذا فإن الفيلسوف الذي يقع ضحية هذا السراب الرياضي يبدو كما لو كان قد أهمل منصب عمله وتخلى عنه، لأنه فرّمن الواقع المتقلب والتجأ إلى عالم أكثر راحة وأنسب للرياش الفكري وترفه؟ اشمأز منه نيتشه وذمه بشدة. فإذا وفّقت الفلسفة في تأدية الأمانة المعروضة عليها، والتفتت بطبيعة الحال إلى العلوم الاجتماعية ترعاها وتوجهها كما فعلت من قبل للعلوم الدقيقة فإنها تكون قد برهنت مرة أخرى عن مدى أهميتها وأسكتت الذين ينادون إلى "تسريحها" وإعفاء الناس عناء مناقشتها التي لا تنتهي وبلا جدوى، في تبنّيها لقضايا هذه العلوم استكمال وتعميق لخطابها ولقولها النظري الشامل، تركيبا لنتائجها المتفرقة، وافتتاحًا لآفاق لا ترد على البال من الأعمال الانفرادية وهذا هو المطلوب اليوم من الفلسفة إزاء العلوم الاجتماعية.

لذلك فقط وبهذا الشرط وحده سيكون بوسعها أن تندرج يوما في منظومة الأصولية المعرفية العامة» وقد تحررت وخلصت معها العلوم الاجتماعية من عقد مركباتها المعطلة لها في سيرها.

## - خلاصة وموقف

يفهم مما سبق أن العلوم الاجتماعية لا يمكنها دراسة الواقع الاجتماعي «المتمرد» على فرق البحث الجارية في العلوم الدقيقة، بوضع نظارات جاليلي ولا بالاتكاء على أقليدس ومسلماته إنها لو تمادت في تبني عملية "زرع" المنهجة العلمية واستعمالها دون تكييفها مع واقعها المتميز، تكون قد حكمت على نفسها بالإعدام. لكن المتمعن في اختيارها ذاك قد يلقي له مبررات منطقية وتاريخية بالخصوص: ذلك أن هذه العلوم من حيث هي علوم"نامية" قررت أن تتخلى عن علوم الخرافات والخيال والمثاليات لتنزل إلى أرض الواقع الاجتماعي الخام، كان من الطبيعي أن تستعمل ما وقع بين أيديها من وسائل جاهزة ربحا للوقت والجهد، ثم أنها لو لم تفعل ذلك لظلت أبعد ما تكون عن الاهتداء لـ "نقطة ارتكاز معرفي" تصبح المعارف الحاصلة ملموسة ومستمرة و"ثابتة" ومع تبني هذه العلوم للحل الأسهل فأنها لم تهتد بعد إلى نقطة ارتكاز هذه ولا استطاعت أن تكون خطأ خاصا من العقل العلمي، ولو أن تكوين هذا العقل ليس سهلا ويسلم بذلك الجميع.

فالعلوم الاجتماعية إذن لم تفلح بعد فن اجتياز عقبة وامتحان المنهجية لأنها لو تحدد نفسها بوضوح "كما يبدو لنا"، إذ الموضوع هو المحدد لنوع المنهجية الملائمة وليس العكس وكما كان يظن أرسطو حين زعم أن منطقه الصوري صالح لجميع العلوم ولكل مكان وزمان، والعقبة الثانية القائمة تتعلق بإشكالية الحياد القيمي أنها تلخص وبصدق تذبذب هذه العلوم بين الوضعية الرافضة للاعتبارات





القيمية مهما كانت، وبين المعيارية المتقابلة مع الروح العلمية.

وأن العلوم الاجتماعية محكوم عليها باختيار أحد الشرين: فإن اختارت المنهج الوضعي. أبعدت من ميدانها جميع القيم، لكن بما أن الإنسان ومصدر هذه القيم فإن المنهج العلمي المختار يبعده عنها حتما، وبإبعاده عنها كما يتساءل كانط؟ ثم أن ميلها إلى العلوم الدقيقة وتعشقها لأسلوب عملها لا يستقيم واستيحاءاتها وتوجيهاتها الفلسفية القابضة عليها.

أما إذا اختارت السبيل الثاني (المعياري) فإنها وبدون شك، ستبقى على "كرامة" الإنسان الذي لن يدّرس بنفس الوسائل المطبقة على الحيوان والجماد؟ ولكن هذه الدراسة الفوقية، ومن بعيد قد لا تسمن العالم الفضولي ولا تغنيه. والمشكلة ما تزال تبحث عن الحل المناسب. ومهما يكن من الأمر فإن الجمع بين التقديرات المعيارية، وهي تصوغ أحكام وجوب وبين التقريرات الوضعية وهي تصدر أحكام وجود، ليس سهلا ولن يتحقق في يوم من الأيام. وهي المشكلة الأم لما يسمى بالخصومة الألمانية للعلوم الاجتماعية.

وفي ختام هذا البحث نعود إلى حيث بدأنا لنؤكد من جديد حاجة العلوم الاجتماعية إلى الفلسفة. ونورد لتكريس مثل هذه الدعوة نصا لأحد الخصوم البارزين للفلسفة ونراه مع ذلك يراجع نفسه ويستدرج الجميع إلى ضرورة إدراج الفلسفة في المنظومة المعرفية للعلوم الاجتماعية والطبيعية معا يقول دوركهايم وهو صاحب هذه الدعوة ما ملخصه:

"أعتقد أن هذه الدراسات يمكن أن تكون مفيدة لأصناف من المستمعين على قدر معين من التفاوت.

فهناك أولاً طلاب الفلسفة الذين إن تصفحوا براجمهم لم يروا فيها ذكرًا لعلم الاجتماع، ولكنهم إن تعمقوا في الأشياء، بدلاً من أن يتمسكوا بالأبواب التقليدية، فسيتأكدون أن الظاهرات التي يدرسها الفيلسوف هي من نوعين، بعضها يتعلق بشعور الفرد وبعضها الآخر يتعلق بشعور المجتمع: إننا سنهتم هنا بالظاهرات من النوع الثاني...فالمشكلات التي ظلت حتى الآن تخص حصرًا علم الأخلاق الفلسفي تصدر بخاصة عن علم النفس الاجتماعي...إننا نحاول فقط أن نعالجها (الأخلاق) علميا..ونحن نلاحظها كما لو كانت نظاما من الظاهرات الطبيعية التي سنخضعها للتحليل والتي سنبحث عن أسبابها: وستعلمنا التجربة أنها من النوع الاجتماعي.

ولكن الفلاسفة ليسوا الطلاب الوحيدين الذين يتوجه إليهم هذا التعليم. لقد أشرت في معرض حديثي إلى الخدمات التي يستطيع أن يقدمها المؤرخ للمتخصص

في علم الاجتماع، ومن الصعب علي الاعتقاد بأن المؤرخين ليس لديهم بالمقابل ما يتعلمونه من علم الاجتماع...إن المؤرخ بحاجة إلى فكرة موجهة، إلى معيار لكي يقوم باختيار، ولا يمكنه أن يطلب هذه الفكرة وهذا المعيار إلا من علم الاجتماع، فهو الذي سيعلمه الوظائف الحيوية والمكونات الأساسية للمجتمع، وفي دراسة هذه الوظائف وهذه المكونات سيطبق، بالأحرى هذا المعيار، إن علم الاجتماع سيطرح عليه أسئلة تحدد أبحاثه وتوجهها. وبالمقابل سيمد المؤرخ علم الاجتماع، بعناصر السؤال، ولا يستطيع العلمان إلا أن يفيدا من هذه التجارة ذات المساعي الحميدة.

وأخيرا أيها السادة إنني سأكون سعيدا بأن أرى صنفا أخيرا من الطلاب ممثلا في هذه القاعة. إنهم طلاب الحقوق. فعندما أحدث هذا البرنامج تساءلنا : عن أولوية أن يكون مكانه في مدرسة الحقوق.

إن مسألة المكانة هذه قليلة الأهمية في رأيي، فالحدود التي تفصل بين مختلف أجزاء الجامعة ليست على درجة من الوضوح بحيث يمكن أن تكون بعض الموضوعات كذلك محكمة الوضع في هذه الكلية أو تلك، ولكن ما تثبته هذه الحيرة هو أن العقول النيرة تعترف اليوم أن من الضروري لطالب الحقوق ألا ينزوي في دراسات تقوم على الشرح الصرف. فإذا كان في الواقع يمضي وقته كله في التعليق على النصوص، وإذا كان اهتمامه الوحيد بخصوص كل قانون، هو بالنتيجة محاولة أن يخمن ما يمكن أن تكون عليه نية المشرع، فإنه سيعتاد أن يرى في الإرادة المشرعة المصدر الوحيد للحق. وعلى ذلك فربما خلط بين الشكل والمضمون، وبين الظاهر والحقيقة. ففي أحشاء المجتمع ذاتها يتشكل القانون، والمشرع لا يقوم إلا بتكريس عمل قد تم بدونه. يجب إذا أن يعلم الطالب كيف يتشكل القانون تحت ضغط الحاجات الاجتماعية؟ وكيف يترسخ شيئا فشيئا؟ وبأية درجة من درجات التبلور ينتقل بالتدريج؟ وكيف يتحول؟ يجب أن يبين له فورًا كيف أنشئت كبريات المؤسسات القضائية، كالأسرة والملكية والعقد؟ وما أسباب ذلك؟ وكيف تنوعت؟ وكيف ستتغير، على ما يبدو، في المستقبل؟ إنه لن يرى بعد إذا في النماذج القضائية أنواعا من الأحكام والقرارات التي يجب أن يخمن معناها العجيب أحيانا، إنه سيعرف تحديد مداها، ليس بحسب النية الغامضة واللاشعورية غالبا لرجل أو لهيئة، ولكن بحسب طبيعة الحقيقة ذاتها"[23].

23 – دور كهايم، «دروس في علم الاجتماع» درس الافتتاح (1888)، المجلة الدولية للتعليم، العدد الخامس عشر. ص ص 45-23، في: علم الاجتماع والفعل. دار المنشورات الجامعية الفرنسية، مجموعة SUP 1970، ص 334 ct والترجمة العربية هي للباحث مع إضافات شخصية.





## المراجع


1. Andeski, S. (1975) : Les sciences sociales sorcellerie des temps modernes   Trad; Fse Puf.
2. Aron, R. (1985): 12 leçons sur l Histoire. Ed seuil.
3. Boudon, R.(2010):La sociologie comme science; la découverte.
4. Braudel, F. (1962): Ecrits sur l histoire ; Gall.
5. Claval, P. (1980): Les mythes fondateurs des sciences sociales. Gall.
6. Collectif, (1980): de Vienne à Francfort, la querelle Allemandes des sciences  sociales. Ed . complexe.
7. Comte, A. (1975): Cours de philosophie positive. Hermann.
8. Febvre, L. (1953): Combats pour l histoire ; A Colin.
9. Foucault, M. (1975): Les mots et les choses ; Gall.
10. Fourastié, J. (1962): La grande métamorphose du  XX   Siècles; Essai sur quelques problèmes de l humanité d aujourdhui; Puf.
11. Freund, J. (1973): Les théories des sciences humaines.
12. Gadamer,H.G. (1976) : Méthode et vérité ; Les grandes lignes d une herméneutique philosophique trad fse Seuil.
13. Gusdorf, G. (1960): Introduction aux sciences humaines; Essai sur leurs origines et leurs développements ;  Paris.
14. Jasper, K. (1959): Introduction à la philosophie  Trad Fses, Plon, 19.
15. Kuhn, T. (1970):La structure des  révolutions scientifiques. Trad Fse ; GALL.
16. Lazarsfield, P. (1969):  La philosophie des sciences sociales. Trad . Fse Gall.
17. Piaget, J.(1977): Epistémologie des sciences de l Homme.  Gall.
18. Poincaré, H. (1960): la Science et l Hypothèse , Gall.
19. Popper, K. (1975): La Quète inachevée ;  Trad ; Fses Plon.
20. Weber, M. (1959): le Savant et le Politique  Tras  Fse Plon.

21. Weber, M.(1992): Essai sur la théorie de la science . Trad Fse Agora.
22. Wright, C.M. (1971): l imagination sociologique ; Trad ; Fse ; Maspero.






# خصائص القصة لدى كتاب الحركة الإصلاحية في الجزائر محمد السعيد الزاهري نموذجا


أ. د. أحمد منور
جامعة الجزائر 2



**ملخص**

اتخذت القصة القصيرة في الجزائر منذ ظهورها في عشرينيات القرن الماضي، منحى دعويا إصلاحيا بارزا، حيث اتخذت أداة لنشر الوعي، ومحاربة الجهل والأمية، والتصدي للشعوذة والخرافة، والوقوف في وجه التبشير المسيحي، ودعاة التغريب والحداثة المشبوهة، في تساوق مع الحركة الدينية، الإصلاحية، التي قادها الشيخ عبد الحميد بن باديس، ومهدت لبعث وعي وطني سليم وراسخ الركائز.

اضطلع بهذه المهمة رجال كانوا قد تخرجوا من جامع الزيتونة في تونس، أو القرويين في فاس، وحظي قلة منهم بالتخرج من الأزهر. كان معظمهم يجمع بين مهمة التعليم في المدارس، والخطابة على المنابر، والكتابة في الصحافة ؛ وكان محمد السعيد الزاهري (1899ـ1956) الشاعر الفحل، والصحافي القدير، أحد أبرز هذه الوجوه في الحركة الإصلاحية. عاش حياته كلها في سبيل الإسلام والقضية الوطنية، وكان من القلائل الذين راسلوا الصحافة المشرقية، وكتب عن قضايا البلاد المغاربية من طنجة إلى بنغازي، فكان همزة وصل بين المغرب والمشرق العربي.

وكان الزاهري أول من كتب القصة في الجزائر، وأول من نشر مجموعة قصصية، وذلك سنة 1928، فكان بحق رائد القصة الجزائرية بلا منازع، وهو الذي أكسبها توجهها الإسلامي بالتحديد، وطبعها بطابعه المميز، من خلال موضوعاته الحية التي عالجها، واللغة الفصيحة، المعبرة التي وظفها، والأسلوب القرآني الذي احتذاه، فأثر بذلك في كل الكتّاب الذين جاؤوا من بعده، طيلة ثلاثة عقود زمنية.


**الكلمات الدالة:** الإصلاح، نشر الوعي، الزاهري الرائد.

## مقدمة

قبل أن يعرف محمد السعيد الزاهري (1899 ـ 1956م) كرائد في كتابة القصة في الجزائر ذاع صيته كشاعر وكاتب مقال، وذلك حينما كان طالبا في جامع الزيتونة في مطلع عشرينيات القرن الماضي، حيث كان ينشر، دون انقطاع، قصائده ومقالاته في جرائد "الوزير" و"النهضة"، و"الزمان" التونسية، كما عرف بنشاطه في